

الإنسان الروحي، من علامة روحانياته، أنه يتجرد من ذاتيته ويفضل غيره على نفسه. ويجعل الآخرين في مكانة أكثر من نفسه. فما مركز الآخرين في حياتك...

الآخرون في حياتك

صدق ذلك الأديب الذي قال:

ما استحق أن يعيش، من عاش لنفسه فقط.

لذلك فالشخص الروحي، في حياته في المجتمع، يجد لذته في أن يحيا لأجل غيره، متبعًا قول الرب "تحب قريبك كنفسك" وهكذا يحب كل أحد من أعماق قلبه...

وتكون محبته للآخرين محبة عملية حسبما قال الرسول "لَا نُحِبُّ بِالْكَلَامِ وَلَا بِاللِّسَانِ، بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ" (1يو3: 18).

هذه المحبة تتميز بالعطاء، وتتميز بالبذل. سواء من الناحية الجسدية، أو الناحية الروحية... لذلك فإن الشخص الروحي، هو بطبيعته إنسان خادم.

يخدم غيره في كل مجال، لا لأنه مطالب بهذا، وإنما لأن الخدمة جزء من طبيعته وجزء من كيانه، يشعر فيها بالحب، ويتغذى بها أكثر مما يغذي غيره.

وإن كانت الخدمة هي عمل الملائكة، فكم بالأولى البشر...

جميل هو قول معلمنا بولس الرسول عن خدمة الملائكة:

"أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لِأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرْتَوْا الْخَلَاصَ" (عب1: 14). والملائكة حينما يخدمون البشر، إنما يخدمونهم عن حب وبذل، وليس عن واجب أو تكليف. أنظروا إلى السارافيم المخصصين للتسبيح، لما سمعوا من أشعياء أنه نجس الشفتين، طار واحد منهم بسرعة، وأخذ جمرة من على المذبح، وطره بها شفتي إشعياء (أش6: 6).

إن السيد المسيح ظهرت محبته للبشر في الخدمة والفداء:

وهكذا ورد عنه في الكتاب "أَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتْ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (مر10: 45). وكما قال الرب أَيْضًا "لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ" (يو15: 13).

ما أجمل أن يكون الإنسان سبب سعادة لكل من حوله:

من هنا كانت المحبة التي تتصف بها الأمومة، والتي تتصف بها الأبوة "كَمْ مَرَّةً أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادَكَ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاحَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا"، "إن نسيت الأم رضيعها، لا أنساكم" هذا الحب الذي يسعد الغير، بالعطاء والبذل، هو سمة من سمات الروحيين. ولذلك حسنا قال الكتاب:

"مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ". ففي العطاء محبة للآخرين، أما الأخذ فكثيرًا ما يحوي إهتمامًا بالذات...

إن المحبة التي تعطي، تظهر فيها أعماق قول الرب "لَأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي..." وأعماق قول بولس الرسول " أَلَدِيَّاتُهُ الطَّاهِرَةُ النَّفْيَةُ عِنْدَ اللَّهِ الْآبِ هِيَ هَذِهِ: اِفْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ فِي ضَيْقَتِهِمْ، وَحِفْظُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ يَلَا دَنَسٍ" (يو1: 27). والعطاء الذي ينبع من الحب، غير العطاء الذي هو مجرد تنفيذ للوصية، أو هو لكسب المديح أو لأداء الواجب...

هناك وظائف هي موضع محبة الناس لأنها تعني بهم:

مثال ذلك الطب والتمريض والخدمة الاجتماعية. وهناك أيضًا الأطباء الروحيون، آباء الاعتراف الذين يحملون أثقال الناس، ويخففون من متاعبهم. وقد يوجد شخص لا يقدم لغيره معونة مادية، ولكنه يقدم أدنًا صاغية تستمع فتريحهم، أو يقدم إبتسامة طيبة أو كلمة تُطيب خاطر، فيحبونه.

بعكس ذلك، الذين يتركزون حول أنفسهم، ذاتهم كل شيء..

ما أصعب من يقول "أنا أو الطوفان" أو الشاعر الذي قال: " إذا مُت عطشًا فلا نزل المطر"

لم يكن موقفًا روحانيًا. ذلك الذي وقفه يونان النبي حينما إغناط لخلاص أهل نينوى، غضبًا لأن كلمته من جهة عقوبتهم، لم تنفذ، فاعتبر ذلك ضد كرامته!! لذلك عاتبه الله قائلاً له "هَلْ اغْتَطَّتْ بِالصَّوَابِ؟" (يون4: 4). **أما موسى النبي، فقد ضرب مثلاً عاليًا في محبة الآخرين.**

وذلك حينما تضرع إلى الرب من أجل الشعب المخطئ قائلاً: "وَالآنَ إِنِ عَفَرْتَ خَطِيئَتَهُمْ وَإِلَّا فَاْمُحْنِي مِنْ كِتَابِكَ الَّذِي كَتَبْتَ" (خر32: 32). ويشبه ذلك قول بولس الرسول: "فَإِنِّي كُنْتُ أَوْدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ الْمَسِيحِ لِأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبِ الْجَسَدِ" (رو9: 3). فكلًا الاثنين فضل أن يُحرم هو نفسه من الرب — أي يفقد أبديته — من أجل إنقاذ الآخرين... وهذا أمر عجيب، مثالي في الحب، وإن كان من جهة التنفيذ غير ممكن...

فلا أقل من جهة الحب — أن نصلي من أجل الآخرين.

ولهذا هناك أناس يجعلون الآخرين عنصرًا بارزًا في صلواتهم. والكنيسة في صلواتها الطقسية لا تترك أحدًا لا تصلي من أجله، بل تصلي حتى من أجل الحيوان...

والسيد الرب أعطانا تعليمًا جميلًا في الصلاة من أجل الآخرين، حينما وضع لنا الصلاة الربية، وفيها تكلم الله بأسلوب الجمع — لا بأسلوب الفرد — مدمجين حاجيات الآخرين معنا. وكذلك نصلي قانون الإيمان.

وتعلمنا المسيحية أننا جميعًا أعضاء في جسد واحد...

إن تألم عضو، تتألم معه بقية الأعضاء. ويقول لنا الرسول "فَرَحًا مَعَ الْفَرِحِينَ وَبُكَاءَ مَعَ الْبَاكِينَ" (رو12: 15).

فماذا فعلنا نحن من أجل الآخرين، أيًا كانوا؟

إننا نحب الذين يحبوننا. ولكن السيد المسيح يقول لنا "إِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ فَإَيُّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هَكَذَا؟" (مت5: 47) إذن علينا واجب حيال الخطاة والمسيئين أيضًا... حيال من يسخرنا ميلًا، أو من يخاصمنا ويريد أن يأخذ الثوب، أو من يلعن أو من يسيء...

وهنا يكون أول واجباتنا نحو الغير: الاحتمال والمغفرة..

ليس جميع الناس صالحين ولطفاء. فالمخطئون منهم، علينا واجب من نحوهم وهو احتمالهم. وقد قال معلمنا بولس "فَيَحِبُّ عَلَيْنَا نَحْنُ الْأَقْوِيَاءُ أَنْ نَحْتَمِلَ أَضْعَافَ الضُّعَفَاءِ" (رو15: 1). والذين لا يحتملون، يخسرون كثيرين. وليس هذا من الصالح..

وما أروع قول الكتاب "رابح النفوس حكيم"

ونحن لانستطيع أن نربح الناس، إن كنا نحاسبهم على كل تصرف، وبكل تدقيق، ونكثر العتاب واللوم... لهذا كانت المغفرة للمسيئين، من أول صفات الروحي، مهما كثرت الإساءات، ولو إلى سبعة في سبعين كل يوم...

وقد جعل الله مغفرتنا للناس، شرطًا لمغفرته لنا...

فقال "إِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ" (لو6: 37)، "إِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلَّاتِهِمْ لَا يَغْفِرَ لَكُمْ آبَاؤُكُمْ أَيْضًا زَلَّاتِكُمْ" (مت6: 15). ونحن نصلي قائلين "اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا تَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا" (مت6: 12)..

والإنسان الروحي يعامل الغير باتضاع، ويفضلهم في كل شيء على نفسه، وفي هذا يكسب الآخرين. وقد قال الكتاب: "مُقَدِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْكِرَامَةِ" (رو12: 10).

الرجل الروحي يضع نفسه دائمًا في المتكأ الأخير ويختفي لكي يظهر الناس. وينسب الفضل دائمًا لغيره. لا يمتدح نفسه، وإنما دائمًا يمتدح الناس...

الإنسان الروحي لا يبني راحته على تعب الآخرين. بل يتعب دائمًا لكي يريح غيره. هو شمعة تذوب لكي يستضيء الناس بها، الذين يضعهم في قمة اهتمامه...

الرجل الروحي يعمل كل جهده لكي يبني الآخرين... لا يبحث من فيهم مستحق، ومن هو غير مستحق، إنما يفكر من فيهم محتاج، وكيف يبذل كل جهده حتى لا يدع أحدًا محتاجًا إلى شيء، حين يكون بإمكانه أن يعطيه إياه...

وتربطه بجميع الناس رابطة قوية من حسن المعاملة. في جو من المجاملة ومن التفاهم، ومن الروح الواحد، مراعيًا قول الرسول، الذي نرتله في صلاة باكر "فَأُطْلَبُ إِلَيْكُمْ، أَنَا الْأَسِيرُ فِي الرَّبِّ: أَنْ تَسْلُكُوا كَمَا يَحِقُّ لِلدَّعْوَةِ الَّتِي دُعِيتُمْ بِهَا.. بِكُلِّ تَوَاضُعٍ، وَوَدَاعَةٍ، وَبَطُولِ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي الْمَحَبَّةِ.. مُجْتَهِدِينَ أَنْ تَحْفَظُوا وَحْدَانِيَّةَ الرُّوحِ بِرِبَاطِ السَّلَامِ، لِكِي جَسَدٌ وَاحِدٌ، وَرُوحٌ وَاحِدٌ" (أف4).

إن الابن الأكبر، لم يضع أخاه الراجع في اعتباره. لم يفرح لفرحه، ولم يشترك في الوليمة التي صُنعت لأجله، بل ركز إهتمامه في نفسه وما ينبغي أن يعطى له من أبيه...
أما نحن فلننكر ذواتنا، لكي نحب الآخرين... ونسعدهم.